بســـــــــبس

كان لطحّانٍ ثلاثة أبناء ، ولمْ يكُنْ يملكُ فى هذه الدُنيا غيرَ طاحونةٍ وحِمارٍ وقطٍ . وقبلَ وفاتِهِ ، أوْصى بأنْ تُعطى الطاحونةُ لابنِهِ الأكبرِ ، والحِمارُ لابنِهِ الأوسطِ ، والقطُّ لابنِهِ الأصغرِ .

وكانَ الإبنُ الأصغرُ حزيناً ساخطاً على حظِّهِ مِنْ تركةِ والدِهِ ، غيرَ أنَّ القطَّ جاءهُ يوماً مِنَ الأيامِ ، وقالَ لهُ : « اشترِ لى يا سيِّدى حِذاءً وكيساً ، وأنا أُبرهِنُ لكَ على أنّى أنفعُ مِنَ الطاحونةِ والحِمارِ » . فاشترى لهُ سيِّدُهُ ما طلبَ ، ولبسَ القطُّ الحِذاءَ ، وحملَ الكيسَ على ظهرِهِ ، وقصدَ جُحْراً بعيداً تعيشُ فيهِ الأرانبُ البرّيّةُ . وهُناكَ فتحَ الكيسَ ، ووضعَ بداخلِهِ قليلاً مِنَ النُخالةِ ، واضطجعَ بجانبِهِ ، متظاهراً بالموتِ . فخرجَ أرنبٌ مِنَ الجُحرِ ، ولمّا همَّ بالدُخولِ فى الكيسِ ليأكلَ مِنَ النُخالةِ ، هجمَ عليهِ القطُّ وقتلهُ . ثُمَّ حملَهُ إلى الملكِ ، وقدَّمَهُ قائلاً : « إنَّ سيِّدى اللوردَ يُهدى لكَ هذا الأرنبَ ، ويرجُو أنْ تستمتعَ منهُ بأكلةٍ لذيذةٍ » . فصاحَ الملكُ مسروراً : « شكراً جزيلاً! فإنّى أُحبُّ هذهِ الأرانبَ البرّيّةَ كثيراً » .

وفى اليومِ التالى اصطادَ « بسبسُ » زوجاً مِنَ القطا ، وقدَّمَهُ للملكِ هديّةً لهُ من سيِّدِهِ . واستمرَّ على ذلكَ أياماً كثيرةً ، يصطادُ كلَّ يومٍ حيواناً أو طيوراً ، ويُقدِّمُها للملكِ . فسُرَّ الملكُ سروراً عظيماً ، وأمرَ أنْ يُعدَّ المركبُ الملكىُّ لزيارةِ ذلكَ اللوردِ ، ليشكرَهُ على هداياهُ اللطيفةِ .

ان سيدى اللورد يهدى لك هذا الارنب

ولمّا علمَ بذلكَ « بسبسُ » أسرعَ إلى سيِّدِهِ ، وقالَ لهُ : « تعالَ معى ، وأنا أدُلُّكَ على مكانٍ جميلٍ فى النهرِ لتستحمَّ فيهِ » .

ثم قادَهُ إلى مكانٍ منَ النهرِ يقعُ فى طريقِ المَلِكِ ، وطَلَبَ منهُ أن يترُكَ مابيدَهُ ، ويُغطِّيَها تحتَ حجرٍ ، ثم ينزلَ إلى الماءِ . وعندَ ذلكَ مَرَّ المَلِكُ فى مَرْكَبِهِ ، وبجانبِهِ ابنَتُهُ الاميرةُ فيروزُ . وفى تلكَ اللَّحظةِ صاحَ بسبسُ : « المعونةَ ! المعونةَ ! » فسألَهُ المَلِكُ : «مَا الخبرُ ؟» فقال « بسبسُ » : «لقد سُرِقَتْ ملابسُ سيِّدِى ، وأنا أخافُ عليهِ منَ البَرْدِ » . فأمَرَ المَلِكُ بإحضارِ أجملِ لباسٍ فى القصرِ ليَلْبَسَهُ الفَتَى . فلمَّا ارتداهُ صارَ منظرُهُ جميلاً جذّاباً . ثمَّ رَكِبَ المركبَ المَلَكِىُّ بجانبِ الأميرةِ التى أخَذَتْ تُحادِثُهُ وتُلاطِفُهُ .

أمَّا « بسبسُ » فكانَ يَجْرِى أمامَ المركبِ ليَدُلَّ سائقَهُ عَلَى الطريقِ إلى قصرِ سيِّدِهِ . وكانَ ، كُلَّما مَرُّوا بحقولِ القمحِ الجميلةِ أوْ بالمراعِى النَّضِرَةِ فى طريقِهِمْ ، يَسألُ المَلِكُ عن صاحِبِها ، فيُجيبُ الفلاَّحونَ : « إنَّها مِلْكُ هذا السَّيِّدِ الصَّغيرِ المُرافقِ لكُمْ ! » فيصيحُ المَلِكُ : « ما أبْدَعَ أملاكَكَ وضَيْعاتِكَ أيُّها النَّبيلُ ! كم هى فسيحةٌ وجميلةٌ ! » وكانَ الفَتَى يُقابِلُ تلكَ الأخبارَ بحَيْرَةٍ ودَهَشٍ عظيمَيْنِ . ولم يَكُنْ يَدْرِى أنَّ « بسبسَ » كانَ قد مرَّ عَلَى هؤُلاءِ الفلاحينَ من قبلُ ، وأمَرَهُمْ أن يقولوا ذلكَ ، إذا سألَهُمُ المَلِكُ فى أثناءِ مُرورِهِ عليهِمْ . وهدَّدَهُم بقَوْلِهِ : « إذا لم تفعلُوا ذلكَ ، فإنَّ المَلِكَ يأمُرُ بقتلِكُم ! » وكانت تلكَ الحقولُ والمراعى فى الحقيقةِ مِلْكاً لِشَيْطانٍ يَسْكُنُ قَصْراً فَخْماً فى غابةٍ بَعيدةٍ .

وظَلَّ المركبُ المَلَكِىُّ يَسيرُ ، والقِطُّ يَجْرِى أمامَهُ إلى أنِ اقتَرَبوا من قصرِ ذلكَ الشَّيْطانِ . وكانَ بسبسٌ قد سبقَهُم ، ودَخَلَ القَصْرَ ، وقالَ للشَّيْطانِ : « هل صَحيحٌ ما سمِعْتُ مِنْ أنَّ فى مَقْدُورِكَ أنْ تُغَيِّرَ شَكْلَكَ إلى أىِّ شَكْلٍ تُريدُ ؟ » فقالَ الشَّيْطانُ : « نَعَمْ وبلا شكٍّ ! » وفى أسْرَعَ مِنْ لَمْحِ البَصَرِ تحوَّلَ الشَّيْطانُ إلى سَبُعٍ عظيمٍ . ولكنَّ « بسبسَ » التفتَ إليهِ قائلاً : « هذا أمْرٌ سَهْلٌ ! وفى وسْعِ أىِّ مَخلوقٍ أنْ يَنفُخَ نَفْسَهُ ، ويَدَّعِىَ أنَّهُ عظيمٌ . ولكنَّ الحكيمَ مَنْ يَستطيعُ أنْ يَبْدو أصغرَ كثيراً من حقيقتِهِ ! فهَلْ تَستطيعُ أنْ تَصيرَ فأراً ؟ » فقالَ الشَّيْطانُ : « هذا سَهْلٌ جِدّاً ! » وفى لَمْحِ البَصَرِ تحوَّلَ إلى فأرٍ . فهَجَمَ عليهِ بسبسُ ، وأكلَهُ . ثمَّ نَزَلَ إلى البابِ

بسبس يهجم على الفأر فيأكله

الخارجِىِّ وفَتَحَهُ . وكانَ المركبُ المَلَكِىُّ قد وَصَلَ إليهِ . فالتفتَ المَلِكُ إلى الفتَى قائلاً : « ما أبْدَعَ قَصْرَكَ هذا ! ! » ثمَّ نَزَلوا وطافوا بالقَصْرِ لِيُشاهِدوهُ . وكانَ « بسبسُ » قد أمَرَ بإعْدادِ غَداءٍ فاخرٍ . وفى المَساءِ اجتَمَعَ حَفْلٌ كبيرٌ ، فأكلوا جميعاً ، وجَلَسوا يَتَسامَرونَ .

وقد أُعجبَ الملكُ بذكاءِ الفتى وكمالِ آدابِه ، وسلامةِ ذوقِه ، فعَرَضَ عليهِ أن يكونَ « ياوراً » للأميرةِ فيروز . فسُرَّ الفتى لهذا الحظِّ العظيمِ الذى نالهُ بفضلِ « بسبس » . وإعزازاً لبسبس ، اشترى لهُ سيِّدُهُ حِذاءً جديداً أحمرَ مُرَصَّعاً بالجواهرِ . وصـــارَ يُقدِّمُ لهُ من الطعامِ الفيرانَ السَّمينةَ ، ومنَ الشرابِ اللبنَ الخالصَ فى أوانٍ من ذهبٍ .

ابن التـــــاجر والعبد

يُحكى أنَّ تاجراً من كِبارِ التُّجَّارِ كان له ابنٌ وحيد يُسمَّى حسَناً . وقد عُنِىَ بتربيتِهِ وتهذيبِهِ حتَّى صارَ موضعَ إعجابِ كلِّ مَنْ رآهُ . فلمَّا كبرَ أظهرَ ميلاً للتِّجارةِ ، ولَمْ يُرِدْ أن يعملَ فى متجرِ أبيهِ ، بلْ فضَّلَ الاعتمادَ على نفسِهِ . ولذلك طلَبَ من أبيهِ مالاً ليُتاجرَ بهِ ، فأعطاهُ أبوهُ مائةَ دينارٍ ، فأخذها حسنٌ ، وسافرَ طلَباً للرِّزقِ .

وبعدَ أيَّامٍ نزلَ ببلْدَةٍ ، وأخذَ يَسيرُ فى شوارعِها يَبحثُ عن بِضاعةٍ يَشْتريها . فمرَّ على رَجُلٍ وامرأةٍ وثلاثةِ أطفالٍ يَبكونَ . فسألَهُمْ عن سببِ بُكائِهم فقالَ الرجُلُ إنَّهُ عطَّارٌ ، وقد شبَّتِ النارُ فى حانوتِهِ فأحرقَتْ جميعَ مافيهِ ولم يَبْقَ لهُ سبيلٌ لِكسْبِ قوتِهِ وقوتِ عِيالِهِ . فلمَّا سمعَ حسنٌ ذلك ، أخذَتْهُ الشفقةُ على هـذه الأُسْرةِ البائسةِ ، وفضَّلَ أنْ يُعطِيَها ما معهُ من الدنانيرِ ، وهو موقنٌ أنَّهُ إذا رَجعَ إلى أبيهِ ، وقصَّ عليهِ قِصَّتَهُ لَنْ يَبْخلَ عليهِ بمثْلِها .

فقالَ للرَّجُلِ : « هاكَ مِائةَ دينارٍ ، فافْتَحْ حانوتاً جديداً تَرْتزِقْ منهُ » . فلَمْ يَكَدِ الرجُلُ يُصدِّقُ أُذنيهِ ، لَوْلا أنَّهُ رأى حسناً يُقدِّمُ لهُ المبلَغَ ، فأخذَهُ ، ومالَ على يدِ حسنٍ ، فقبَّلَها ، وأكثرَ منَ الدعاءِ لهُ .

وعادَ حسنٌ إلى أبيهِ ، وقصَّ عليهِ قِصَّتَهُ . فقالَ لهُ أبوه : « بارَكَ اللهُ لى فيكَ يابُنَيَّ ! لقد أنقذْتَ أُسْرَةً مِنْ ضيقٍ وَقعَتْ فيهِ ، ولَكَ عَلَى فِعلِكَ هـذا منَ اللهِ ثوابٌ عظيمٌ . أمَّا الدنانيرُ التى تَصدَّقْتَ بهـــا ، فهاكَ بَدَلَها مِائَتَيْنِ » . فأخذَ حسنٌ المبلَغَ مِن أبيهِ شاكراً ، وسافرَ مرَّةً أُخرى .

ومرَّ فى طريقِهِ على بلْدَةٍ ، فرَأى فى سُوقِها شخصاً معهُ عبدٌ ، وهو يُنادِى : « يا مَنْ يَشْترى العبدَ وفيـــهِ عَيْبٌ ! » . فقالَ حسنٌ : « وما عيْبُهُ ؟ » قال الرجلُ : « إنَّ عَلَى مَنْ يَشْترِيهِ أنْ يُطيعَ جميعَ أوامرِهِ ، وإذا خالَفَ لهُ